

كلمة البروفسور سليم دكاش اليسوعي، رئيس جامعة القديس يوسف، في اللقاء السنوي السادس عشر لشركاء مركز الدروس الجامعية في زحلة والبقاع (CEUZB) للاحتفال بمرور أربعين سنة على تأسيس هذا المركز، وذلك يوم السبت الواقع فيه ٢٠ أيار (مايو) ٢٠١٧، في الساعة الثانية عشر والنصف، في "كريستال غراند أوتيل قادري"، زحلة.

أيها الأصدقاء،

لقد رحبت حضرة المديرية الدكتورة مايا خراط بكم وبنا أجمل ترحيب بلطيف الكلام فلا يسعني إلا أن أكرّر الكلمات لما فيها من عمق المحبة وعراقة العلاقة الاجتماعية. إنّما اجتمعنا اليوم لنحتفل معاً بذكرى عزيزة على قلوبنا جميعاً، إنّها ذكرى الأربعين سنة لمبادرة تأسيس هذا المركز وهي مبادرة غيرت الكثير من المفاهيم وأعطت زحلة والبقاع زخماً فكرياً واجتماعياً واقتصادياً له وقعه في حياتنا اليومية وعلى هذه المنطقة بالذات. فالشكر لكم أنتم الشركاء في تحقيق هذه المبادرة رؤساء وممثلي المؤسسات والمقامات التربوية والاقتصادية والمدنية والأمنية والبلدية، كنتم معنا في المغامرة والمسيرة وما زلتم.

في الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧ منذ أربعين سنة خلت، دشّن الأب جان دوكرية، رئيس جامعة القديس يوسف آنذاك، مركز الدروس الجامعية في زحلة والبقاع. وعندما نذكر هذا اليسوعي الفرنسي الذي كرّس حياته لخدمة لبنان ولخدمة الفكر والثقافة في لبنان ولخدمة صيغة لبنان الواحد القويّ بأبنائه جميعاً وبوحدة أبنائه جميعاً، إنّما نحیی ذكرى هذه الشخصية الفذة ونتذكر أيضاً جميع الذين عملوا على إنشاء هذا المركز في جناح صغير من الكلية الشرقية ثمّ في تعنايل

وأعالي زحلة وتناوبوا على إدارته وخدمته حفظاً لرسالته ومنهم الأبوين الرئيسين سليم عبو والراحل جُلّت ذكراه رينيه شاموسي من دون أن ننسى أوّل مدير لهذا المركز الأستاذ العميد فايز الحاج شاهين ثمّ الأب المرحوم ميشال هالبيك ثمّ د. سلامة خوري وبعدهم الأستاذ جان مراد. فالأب دوكربيه، في خطابه الذي ألقاه آنذاك قال ما يلي :

"أودّ أن أعيد إلى الأذهان في بداية كلمتي عبارةً قالها الشاعر سعيد عقل، لا للتعليق عما قاله إذ إنّ لا تعليق على كلام الشعراء، لكن لكي تصبح عبارته زرعاً ينضج في قلوبنا، قبل أن يصبح هذا الزرع أرزّةً تحت شمس الله. لقد قال سعيد عقل كلمة شهيرة : "عندما تحبّ وطنك، إعمل المستحيل لكي لا تشوّه منظره". فيا لها من وصيّة عظيمة ما زالت تلاحقنا حتى اليوم لنحافظ على جمال لبنان والبقاع، لأنّ من حافظ على الجمال، حافظ على الروح والقيم.

يضيف الأب دوكربيه : "ماذا يعني أن نؤسّس مركز الدروس هذا لزحلة ولأبناء البقاع خصوصاً؟ صحيح أنّ الكليّة الشرقيّة كانت تؤمّن بعض دروس التعليم العالي بين جدرانها، وها نحن نكمل المسيرة عبر تأسيس هذا المركز الجامعي. الكليّة الشرقيّة وجامعة القديس يوسف هما مؤسّستان عريقتان مئويتان من مؤسّسات الوطن. إلّا أنّهما تذكّرانا بأنّ لبنان هو أكبر منّا، وتذكّرانا بأنّ أجيالاً من اللبنانيين كافحوا لكي يبقى هذا الوطن حيّاً".

ولقد أضاف الأب دوكربيه في ذلك اليوم : "الوطن هو بحد ذاته إرادة العيش معًا. والوطن يعني التعلق بالأرض. ولبنان ليس مجرد مؤسسة تجارية. لبنان هو الأرض أولاً وفي لبنان الجديد ينبغي علينا أن ندرك أهمية لا الأرض فقط، بل الشعب الذي يعيش على هذه الأرض، شعب القرى والبلدات الصغيرة. في اختبار هذا الشعب، هناك سلوكيات تظهر مدى الغنى البشري المتراكم لديه، ولأنّ هذا الشعب هو غنيّ بإنسانيّته، على لبنان أن يبقى حيّاً وأن تبقى الأرض فلا تزول القرى والبلدات".

ما قاله الأب دوكربيه لا يبقى فقط حيّاً في الذاكرة، بل إنه مشروع يصلح أن يكون خريطة عمل من أجل النهوض بأرضنا وقرانا. وعندما يتحدّث الأب دوكربيه عن الأرض وهو الفرنسي الآتي من منطقة بورغ آن بريس (Bourg-en Bresse) الزراعيّة في فرنسا، إنّما كان يتحدّث عن البرامج الأكاديميّة الجامعيّة التي كان المركز قد بدأ بتدريسها مثل إدارة الأعمال والعلم الإداري والهندسة الزراعيّة والهدف في ذهنه تطوير إدارة الأعمال الزراعيّة من الزراعة إلى الانتاج فالتسويق، لأنّ أرض البقاع معطاء وعاصمة البقاع تحبّ العلم كما تحبّ الشعر، فربّما نطرح على أنفسنا السؤال التالي يتبعه سؤال آخر : ماذا تحقّق من الأهداف التي رسمها الأب دوكربيه منذ ٤٠ سنة ؟ وماذا علينا أن نفعل اليوم وغداً ليستمرّ هذا المركز في نشاطه مع العلم أنّه في السنة ١٩٧٧ كان اليسوعيّون روادًا، عندما كانوا الأوّل في إنشاء هذا المركز في زحلة والبقاع وبعد أن كانوا من الأوائل في إنشاء دير تعنايل ومزرعته كمركز زراعي نموذجي في منتصف القرن التاسع عشر وضحووا بدمائهم شهداء في الدفاع عن قضية الحرية

والتنوع في هذه المنطقة بالذات. والواقع أنّ الخارطة الجامعيّة اليوم في زحلة والبقاع تنافس خارطة بيروت من حيث عدد المؤسّسات والأبنية المميّزة ونوعيّة التعليم والجودة. نعم، لقد تحقّق الكثير حيث لعبت الجامعة اليسوعيّة دورًا في إنماء هذه المنطقة فكريًّا وجامعيًّا وإقتصاديًّا ويشهد على ذلك الآلاف ممّن هم من خريجي وقدامى هذا المركز حتّى اليوم في إدارة الأعمال والهندسة الزراعيّة والعلوم التمريضيّة وعلم التربة وقد تجمّعوا في رابطة خريجين نشيطة شاركنا في ما قامت به وسوف نسمع عنها بما ستحقّقه من أنشطة في سبيل الخريجين والجامعة. ولا شكّ أن الجامعة، بما قدّمته من إسهامات في التعليم والتوجيه والتدريب والتثقيف والحوار الاجتماعي والروحي والديني، إنّما أنشأت أجيالاً متلاحقة قياديّة أصحاب رؤيا وعزيمة وإرادة، بدّلت الكثير من الأمور وقامت بدورها في إنماء المنطقة وحتّى لبنان إقتصاديًّا وإجتماعيًّا بالرغم من استمرار وجود بؤر الجهل بسبب الحرمان وغياب السياسات الحكوميّة الفاعلة.

إنّ جامعتنا بما قدّمته إنّما كانت وفيّة لوثيقتها التأسيسيّة التي تنادي للعمل من أجل وحدة لبنان باتّحاد أبنائه ورفيهم الثقافي والجامعي فلا يجوز أن يكون رأسمال لبنان البشري المتعلّم من بعض شوارع بيروت فقط بل إنّ العلم هو للجميع ورأسمال لبنان يتكوّن من أبنائه كافّة. فبهذا النهج وبهذه الروحيّة تستمرّ الجامعة اليسوعيّة حاضرة في كل زحلة والبقاع وكل لبنان، تقوم بما تستطيع القيام به لا بل أكثر من أجل أن يستمرّ لبنان في النموّ والتطوّر والتكامل والارتقاء بالإنسان إلى الأعلى والأفضل.

فاليوم إذ أهنيّ أبناء هذا المركز على عيدهم الأربعين إدارةً وأساتذة وطلابًا قدامى من المتخرّجين، فإنّما نهنيّ أنفسنا لأنّ الثمار، بعد أربعين سنة من العمر، أتت وفيرة، ونيّرة وناضجة أسهمت وتسهم في إغناء روح اللبنانيين برائحتها الزكيّة وطعمها اللذيذ. فها نحن على الوعد مستمرّون بأن نبقي هنا في زحلة والبقاع، منارة علم وثقافة وحفاظ على الدين والأخلاق، نبقي لأنّنا متميّزون في فرانكفونيّتنا وفي تعدّدنا اللغوي والبشري والاجتماعي، في عزمنا المستمرّ على إعداد جيل النخبة والقيادة وفي نظرتنا إلى التربية الجامعيّة لا كمجرّد تسليم شهادات، بل تكوين أشخاص، شبّان وفتيات على أعلى درجة من الكفاءة والمهارة. والجامعة بما تخطو به من تقدّم وتطوّر في منهجيّاتها وطلبها للاعتماد من أرقى المؤسّسات الدوليّة وانتقالها إلى مراكز متقدّمة في التصنيف الدولي، إنّما تعمل في الوقت نفسه من أجل مراكزها جميعًا وفي طليعتها مركز زحلة والبقاع الذي كان طليعة المراكز الجامعيّة الاقليميّة التي تأسّست كلّها في السنة ١٩٧٧. ونحن نعتزّ بأن نكمل المشوار مع مركزنا في البقاع حيث باشرنا جزئيًا بفرع لكلّيّة الهندسة وبإجازة في علم النفس والماستر في التكنولوجيا الصناعيّة والحبل على الجرار.

شكرًا لكم جميعًا أنتم الذين أتيتم للاحتفال بالعيد وأنتم أصحاب العيد. شكرًا لجميع الذين يساعدون هذا المركز إن كان ذلك على الصعيد المعنوي أو المادي. شكرًا لكم جميعًا أنتم الذين أعددتم من قلبكم هذا الاحتفال أكنتم من فريق عمل المركز أم من الخريجين أو الخريجات، والشكر لحضرة المديرية للدور الذي تقوم به في اهتمامها

وعنايتها بكافة أمور المركز وطلابيه، وأختم مردّدًا مقطعًا من شعر لشاعر عظيم من
زحلة هو فوزي المعلوف :

"أتنسى ليالينا بزحلة والولا
أتنسى تمشينا على ضفة الصفا
تمرّ بنا الغادات شاردة الخطى
ونقفو خطاها خافقين صباةً
وتلتحف الظلماء خشية أن ترى
فيا لك بعدًا صار يقظة حسرةً
يقيّدنا فيها فؤادًا ومذهبا
نراقب في النهر اللجين المذوبا
وقد سدلت في غيهب الليل غيها
مجدين وجدًا منشدين تشبا
تتبعنا تلك الظباء فتهربا
ويا لك عهدًا كان كالحلم طيبًا"

أيها الأحباء، ها نحن على العهد ماضون في مسيرتنا وسوف نعمل المزيد لكي يصبح
الحلم طيبًا وطيبًا.

عشتم،

عاشت الجامعة اليسوعيّة في زحلة والبقاع،

وعاش لبنان.